نجد الدارس مثلاً يفسر الشعور بالامتياز الطبقي لدى المصريين بما يشبه اللاّشعور الجمعي المترسب في الوجدان (ص: 119) كما نراه يستند ـ في تفسير بعض الظواهر، والنزعات كالنزعة الفردية إلى دعوات فردية فكرية بحيث يتم تفسير الفكر بالفكر، بل إنه يفسر بذلك، سلوك الطبقات الاجتماعية. فقد اعتبر قولة «عرابي» «لقد خلقنا الله أحراراً» إيذاناً بميلاد الفردية في مصر، وبداية لانطلاق البرجوازية المصرية لتؤكد ذاتها في الحكومة والسياسة، والثورة» (ص: 119).

إن تفسير الحركة التاريخية استناداً إلى الأدوار الفردية كان هو هاجس النقاد التاريخيين، وقد تبينا ذلك عند دراستنا للنقد الروائي عند د. عبد المحسن طه بدر(*).

إن النزعة المثالية التاريخية لا تتناقض كما رأينا سلفاً مع الدور الأساسي الذي يلعبه الفرد في تحريك الظواهر بما في ذلك الظاهرة الابداعية. وهكذا يتخلى الناقد د. الهواري أحياناً عن التحليل الاجتماعي المُفَسِّر لظهور النتاج الروائي ولبنيته الداخلية ليقدم آراء الكُتّاب الذاتية ـ تماماً مثلما فعل د. عبد المحسن طه بدر سابقاً ـ من ذلك أنه قدم رأياً يساند تصوره عن الاختيار النهائي الذي آب إليه بطل رواية «قنديل أم هاشم» معتمداً في ذلك على كاتب الرواية نفسه (ص: 279)(**).

وتظهر النزعة المثالية عند الناقد أيضاً عندما نراه يفسر ظاهرة الاغتراب بما قاله شكري في «الاغتراب» دون مبالاة بما قد يناقض أطروحاته الاجتماعية الجدلية في آراء شكري، فصيغة التعميم التي يتحدث بها هذا تلغي الطابع الجدلي الذي يُفترض أن الناقد سيحرص عليه في التحليل[104]. وكذلك يفعل الناقد مع رأي طه حسين الذي يناقض بشكل صريح النظرة الطبقية للمجتمع على الرغم من أنه يتحدث عنها، وذلك لأنه يلغي الأثر النفسي المتباين بسبب هذه الفروق. فيتحدث عن قلق نفسي عام يصيب المصريين جميعاً. (ص: 347).

وتكتمل الرؤية التاريخية المثالية لدى الناقد عندما نراه يتحول في نهاية الفصل الأخير إلى الأسلوب الخطابي الذي يلقي بآراء عامة لا يمكن ضبطها بقانون منهجي واضح، لما يغلب عليها من إنشائية وسبك بلاغي. (ص: 350).

ويمكن أن نضيف إلى الرؤية المثالية للناقد بعض التساؤلات التي تُرجِّح أن الناقد لم يُحسن وضعها ـ مع أنه ربما لم يكن قصد إلى وضعها بهذا الشكل ـ من ذلك، السؤال

(*) نشير هنا إلى دراسة عن النقد الروائي التاريخي لم تنشر بعد.

(**) وانظر الهامش أيضاً في صفحتي 279 - 280.

(104) انظر النص الذي أورده الناقد لـ: عبد الرحمان شكري؛ فهو ينظر الى الشباب المصري ككتلة واحدة منسجمة دون مراعاة للفوارق الطبقية، ص 345 - 346.